

# البعث امام تجاربه ومهامه الكبرى

ان بعض الأجواء النقدية<sup>(١)</sup> السلبية التي تمر خلال الندوات الحزبية ظاهرة مألوفة دائماً في هذا الحزب فهي من طبيعة الأحزاب الثورية وهي من طبيعة الأحزاب الأصيلة التي تؤمن بحرية الرأي وتؤمن بان النضال هو وليد الحرية، وليد الشعور بالمسؤولية، فاذا انتفت الحرية ضعف النضال وتلاشى.

## أبها الرفاق

في حزبنا كما في مجتمعنا وأجزاء وطننا أمور سلبية كثيرة، عوائق مصطنعة رواسب من الماضي . مهمة الحزب أن يناضل لينقذ ويخلص نفسه والمجتمع العربي منها. وأكبر العوائق وآفة الآفات هي التجزئة في وطننا العربي ثم الأوضاع الجائرة المفروضة على كثير من أقطاره نتيجة النفوذ الاستعماري الذي هو نتيجة لضعف المجتمع وتخلفه، لوجود طبقات مستغلة متحكمة بحرية الشعب وبثروات البلاد وبمقدراتها. . ولئن كان حزبنا قد برهن على ثورية أصيلة عندما شق طريقاً غير معبدة وغير مألوفة، طريق التنظيم القومي الواحد، ولئن كان قد حقق شيئاً لا يستهان به، في ربع القرن الأخير من حياة الأمة العربية وخاصة على هذا الصعيد أي صعيد

---

(١) كلمة ألقيت في إحدى ندوات حزب البعث العربي الاشتراكي في آذار ١٩٧٠.

توحيد النضال، فان مسافات كبيرة ما تزال تفصله عن الهدف الذي يسعى اليه في أن تتحقق الوحدة فعلا، ليس في التنظيم فحسب وانما في العقول والأفكار والمشاعر والعادات حتى يغدو المجتمع العربي مجتمعاً موحداً متجانساً متآخياً متجاوباً. فإذا ألقينا أيها الرفاق نظرة هادئة على ما يطرح أحيانا في اجتماعاتنا وما يتخللها من آراء ومواقف غير متجانسة أدركنا أن مردها الى التجزئة، الى العوائق التي تحول دون التواصل، دون الاندماج، دون التفاعل بين أبناء الأمة الواحدة والوطن الواحد والحزب الواحد.

لقد لاحظت ان بعض الرفاق كان يركز على تجربة من تجارب الحزب والنصف الآخر يركز على تجربة أخرى من تجارب الحزب أي أن كل نصف كان معنياً بالدرجة الأولى بالتجربة القريبة منه التي عاشها وعانها وذاق مرارتها وبالتالي نشأ عنده التصميم على الايقع مرة ثانية فيها.

حزبنا في العراق الذي كان دوماً الحصن المنيع لفكرة البعث ولنضاله، هذا الحزب نشأ ونما وكبر في قطر من أهم أقطار العروبة، هو القطر الذي تدافع فيه العروبة منذ مئات السنين دفاعاً يومياً عن وجودها، وقد ورث حزبنا هذه المهمة وحمل بالاضافة الى دعوته الثورية والنضال من أجلها، حمل أيضاً بالنسبة الى ظروف هذا القطر مهمة الدفاع عن الوجود العربي المهدد بأبسط اشكاله وصوره.

لقد مرت على الحزب في العراق تجربة ١٨ تشرين وهي تجربة قاسية، وبالرغم من قسوتها ومن الاضطهاد والتكيل اللذين تعرض لهما رفاقنا في هذا القطر فقد استطاعوا أن يصمدوا وأن يعودوا ليستلموا المسؤوليات القومية في أخرج الظروف فكان طبيعياً أن تنطبع ذكريات تلك التجربة في اذهانهم وذاكرتهم وان يخرجوا منها بالدرس البليغ، وان يحاكموا الأمور بجديّة وحرصاً لأن النضال في هذا القطر بصورة خاصة نضال حياة أو موت، لذلك تطلب الروية والحكمة والواقعية عندما تعالج أمور الحزب.

وثمة تجربة أخرى عاشها حزبنا في سوريا هي التي أدت الى نكسة ٢٣ شباط وهي تجربة لا تقل عن الأولى في قسوتها وفي عنفها، أهم ما يميز التجربة التي انتهت

الى نكسة ١٨ تشرين في العراق هو تلك الطفولة السياسية الثورية التي ظهرت بين أفراد قيادة الحزب بعد ١٤ رمضان فجعلتهم يختلفون منذ الأسابيع الأولى ، يختلفون على شيء لم يبدأوا بعد بتحقيقه نسوا الحزب وانشغلوا بانفسهم واشخاصهم فعرضوا الحزب والحكم للضرب في ١٨ تشرين ، في حين ان الذي يميز تجربة الحزب في سوريا ، تلك التجربة التي انتهت بنكسة ٢٣ شباط هو ان فئة متأمرة على الحزب كانت قد بيتت التآمر منذ الوقت الذي كان الحزب فيه منحل التنظيم واستغلت تلك الحالة وبيتت ان تستولي على الحزب وان تستفيد من حالة ضعفه . واقول لكم بالمناسبة لأن أحد الرفاق تعرض لهذه الناحية ، ان الحزب ما كان ليتبنى انقلاب ٨ آذار العسكري لولا ان سبقته ١٤ رمضان ولولا أنه كان يضع الأمل في تلك الحركة ويعتبرها الحركة الشعبية الأصيلة . ولم ينفرد الحزب في سوريا ، ولا القيادة القومية في هذه النظرة بل شارك في ذلك الحزب في العراق وكان مستعجلاً لتبني انقلاب آذار لكي يحمي الحكم نفسه في العراق . وكان رفاقنا في العراق يلحون في ان يتبنى الحزب ذلك الانقلاب وقد شاركوا منذ الأيام الأولى للانقلاب في الاجتماعات والمداولات أي ان الانقلاب وقع في الثامن من آذار والرفاق العراقيون وصلوا الى دمشق في الحادي عشر منه .

العظة من تجربة سوريا هي ان عدداً من الافراد العسكريين عرفت فيما بعد باللجنة العسكرية ، وكان تشكيل هذه اللجنة يحمل طابعاً خاصاً وكانوا يعتمدون على تكتلات في الجيش وهكذا بدأوا ينفذون خططهم في الاستيلاء على الحزب بتزييفه وبتصديع وبتحطيم قيمه ونضاله وكل مقوماته النضالية بينما لا يزال في بدء نشأته التنظيمية بعد أربع سنوات من حل التنظيم والضياع بنتيجة ذلك نشاهد الحزب قد تعرض الى الوان من التآمر والتزييف والتسلط الى ان اوصله كل ذلك الى النكسة . ثمة شيء آخر أيها الرفاق ، ثمة ملاحظة يجدر بكم ان تراعوها . الحزب يتحمل مسؤولية الحكم في العراق وللمرة الثانية ، والحزب تحمل ولو في ظروف وشروط مختلفة مسؤولية الحكم في سوريا ولوظاهرياً وامام الرأي العام . وان تحمل مسؤولية الحكم توجب نوعاً من الجدية والواقعية قد لا يقدرها الرفاق الذين يناضلون في

منظمات لاتزال ظروفها بعيدة عن امكانية استلام الحزب للحكم وانا اقول بان واجب الرفاق أن يعتبروا بان الحزب كله وليس فرعاً له في قطر من الأقطار او في قطرين اثنين، حزب البعث كله اصبح في نظر الرأي العام العربي والعالمى منذ عشر سنوات على الاقل، أصبح حزباً حاكماً او مؤهلاً لاستلام مسؤوليات الحكم، وهذه الملاحظة توحى بان يتحرر الحزب والرفاق في المنظمات التي لاتزال تناضل نضالاً سلبياً، أن يتحرروا من بقايا عقلية طفولية قد تمنعهم احياناً من تقدير الامور بالموازين الواقعية الدقيقة، كما ان الرفاق الذين يحملون مسؤولية الحكم يجب ان يرحبوا بالنفحة الثورية التي يحملها الرفاق من المنظمات الاخرى، النفحة المبدئية التي ليس لها الا تفسير واحد هو الحرص والاخلاص للحزب بكل فروعه وخاصة في القطر الذي يتحمل مسؤوليات اكبر وأضخم . وكنت في كل الاجتماعات اشعر هذا الشعور بان ليس وراء تلك الملاحظات الا المحبة والحرص والتضامن .

اني متأكد ايها الرفاق بانه ليس بين اعضاء حزبنا الا من يريد لتجربة الحزب في العراق ان تنجح وان تقوى وان يقدم لها قسطه من الدعم والمعونة، ولكني اعرف ايضاً بان حزبنا الثوري الاصيل يزداد نمواً ونضجاً في نضاله وفي فكره ووعيه وفي تجربته القومية الانسانية وانه يعرف ما هي طبيعة العمل الثوري ويحرص عليها وعلى شروطها ويعرف ان التعاون المجدي هو التعاون الذي يتم نتيجة التفاعل في الرأي والنضال والتجارب وهو الذي يتم من خلال نظام الحزب وقيمه وبمطلق الشعور بالمسؤولية والحرية . وان اي نوع آخر من التعاون يكون اقل جدوى واقل بكثير مما تطلبه الحاجات الراهنة في حزبنا وامتنا .

لاشك ان عملية التفاعل هي اصعب عملية ممكنة نظراً لواقع المجتمع العربي المتميز بالتجزئة المصطنعة ونظراً لواقع الحزب ايضاً، لان في الحزب فترات انقطاع وثغرات ونواقص أخرت اندماج مختلف الفروع بعضها ببعض واخرت تجانس العقليات وتمائل المستويات الفكرية والنضالية . واهم شيء في الحياة الحزبية هي الثقة بين المناضلين . ولكني احرص على القول بان الثقة - لانها هي ائمن شيء في نظر المناضل ولانها يمكن أن تثير فيه اعلى مواهبه وامكانياته ليقدمها للنضال، هذه

الثقة تأتي في الانفتاح، بان يفتح بعضنا على بعض، وأن نعتبر بحقيقة نفسية ان الذي يبدأ الآخر بالثقة كثيراً ما يجعله بمجرد هذا الموقف جديراً بتلك الثقة. الثقة والكرامة أعز ما يتمسك به المناضل لان المناضل قد قبل أن يتعرض لشتى الأخطار وان يعيش عيشة المناضلين فلا يبقى له عزاء في الحياة ودافع ومحرك الا القيم المعنوية. واكبر بلية تصيب حركة ثورية وتقضي عليها هي عندما يفقد هذا الجو، جو القيم المعنوية والثقة والمحبة والكرامة.

#### ايها الرفاق:

جدير بنا ان لانكتفي بالنظرات السلبية وبرؤية الجوانب السلبية في حزبنا وفي مسيرته، صحيح ان هذا معبر عن المثالية والطموح الى الكمال، ولكن النفس بحاجة ايضاً الى الاعتزاز والحماس والامل والثقة بالنفس. واعتقد ان حزباً ثورياً في مجتمع متخلف صمد ثلاثين عاماً وما زال يتابع سيره ونضاله وما يزال محط آمال قسم كبير من الجماهير العربية التي وصلت اليها دعوته واخبار نضاله، هذا الحزب الذي صمد في فترة يصح ان تسمى تاريخية جدير ان يحرك في نفوسنا مشاعر الاعتزاز والامل والثقة بالنفس.

#### أيها الرفاق:

ان حزبنا في العراق الذي هو حزب أصيل كما نعرف وبالتالي يتحرك ويتصرف بفكر الحزب القومي وبمنطقه وشموله يعرف مثل الرفاق الآخرين أن قضية فلسطين هي قضية العرب الأولى وان فيها تتقرر المعركة المصيرية بالنسبة لأمتنا. وأعتقد ان قسماً من الرفاق أتوا متأثرين بجواقظ اقطار قريبة جداً من مواجهة العدو وتعرض للاعتداءات وتعيش بجو المعركة والعمل الفدائي فكان يبدو على ملاحظتهم النزق والاستعجال وهو أمر طبيعي لأعتقد ان أحداً يلومهم عليه. فنحن مطالبون بان نقود حزبنا ونرفعه الى اعلى مستوى من الوحدة وحشد الجهود والكفاءات والتضامن والتلاحم حتى يصمد في وجه المؤامرت.

#### أيها الرفاق:

ان ما يحتاجه حزبنا في هذه المرحلة وهي مرحلة مصيرية الخصة للتبسيط

ولتحاشي الاطالة بشيئين ، هوبحاجة الى قيادة مناضلة تجمع اعلى مستويات الفكر والكفاءة لكي تخطط لأكبر واخطر معركة في تاريخنا القومي ، عليها يتوقف مصيرنا، مطلوب حشد الأدمغة والعقول النيرة المطلعة التي تعيش في هذا العصر وتستطيع ان تخطط للمستقبل والشيء الثاني الذي يحتاجه الحزب هو عمل في اوساط الجماهير الكادحة ، واسع عميق ، بالتوعية ومشاركة الشعب في اعماله ومشاكله وفي تعبته وتجنيدده للمعركة التي هي قريبة وقادمة لاريب فيها .

علينا ان نخرج الحزب من الغرف والقاعات نخرج مبادئه وافكاره وتنظيماته ودراساته وخططه ومشروعاته ونخرج حماسه وايمانه واندفاعاته من هذا الاطار الضيق الذي يضم العشرات في قيادات ومؤتمرات ونبذره على الارض العربية الواسعة وبين الجماهير الكادحة . نلقي البذور ونتعهدا يوماً .

آذار ١٩٧٠